

سمير قصير... شهيدا - له أعظم الفضل

أحمد بيضون

لسمير قصير أعظم الفضل على كل لبناني استرد حق التصرف بلسانه في هذه الأشهر الأخيرة. اللاندون بالصمت لسنوات واللاغظون لسنوات بكلام يطمس ما في السرائر واللائكون لسنوات كلاما معارا يعلمون بطلانه... هؤلاء - وهم كثرتنا الكاثرة - لم يعرفهم سميير قصير لسانه. وإنما بقي هو الناطق بألسنتهم الى أن طاب لها طعم الحرية. كان هو الناطق بسرائرهم... هو المحيل أخلاطها المضطربة الى كلام له نضارة وجهه وشدة البأس التي لعقله.

الذين هتفوا والذين كتبوا، الذين وجدوا، بعد القطيعة، كلاما يفهمه بعضهم عن بعض، جدير بهم أن يذكروا - ما بقيت لهم ذاكرة - فضلا لسمير قصير عليهم. جدير بهم أن يعلموا ان نسمات حياته كلها سكنت اليوم في حريتهم المستعادة... غادرت هذه النسمات حلقة الأحبة وشبكة الأصدقاء ودورة حياة المدينة ومحطات الأسفار... غادرت هذا كله غير مختارة. فلنكن تلك الحرية ملعبها الودود. لنكن مسكنها الأخير. الذين قرأوا كتب سميير قصير والذين فاتتهم قراءتها... الذين كانوا ينتظرون مقالته في الجريدة كل أسبوع وقد لا يقرأون سواها... والذين لم يسمعوا باسمه قبل اليوم ولا شاهدوا طلعه على شاشة... كان هو لسانهم الصادق حين أزموا باتخاذ الكذب سنة لهم أو لزموا صمتا ضاربا في ما وراء الصدق والكذب. كان لسانهم جميعا جميعا وفردا فردا لأن مثل كلامه إنما هو الصحة عينها، تسلك مسلك الوباء فلا يدري المصاب بها من أين وصلت اليه ولا كيف

كان لسمير قصير كل ما يحتاج اليه القلم ليجعل من هذا الصنف من الكلام الزائل الذي يسمى 'كلام جرائد' كلاما يبقى على مر أجيال، ممدا كل جيل يأتي بشيء مما يستقيم به شبابه. كانت عزمته عزيمة الراحل في لحظة الى اقصى مربع من البديهة العامة. كان سميير قصير البرهان على أن البديهة ما هي بالمتناول. وإنما هي بوارق تتراءى خلف طبقات من الركام يعز النفاذ منها على غير الأبطال وتكثر بينها أحابيل الظلمة وأشراك السراب. ولكنه كان العالم أيضا ان ما تجتازه العين الى البديهة ليس إلا ركام أو هام

كان يعلم، فوق هذا، ان على البوارق ان تستوي نسيج حجاج عقلي منفعل بالإرادة، لا يفرط بالهوى ولكن لا ينقاد له، لا يستغني عن بسط المراجع وتفصيل الوقائع ولكن يلهمه الحدس. وكان علم سميير قصير بهذا يرسم دائرة موهبته، جاعلا الكلمة النافذة (والباقية) حيث تنفذ (طوع) قلمه

سمير قصير تفتقده القلات وتفتقده الكثرات. يفتقده تلامذته وهم حفنة من صف، ثم يفتقدونه وهم يتكاثرون تكاثرا عجا في الساحات. يفتقد مشورته كل مؤلف في حرب لبنان ولكن ليقع منه على أوثق كتاب حظي به هذا التاريخ. يفتقده كل متحدث في ماضي بيروت ولكن ليأنس الى التحفة التي جلا فيها تاريخ هذه العاصمة. يفتقده تاريخ المسألة الفلسطينية سالكا (مع فاروق مردم) 'من باريس الى القدس'. وتفتقده مجلة الدراسات الفلسطينية وتفتقده صحف أبي أن يخليها لميلها الى الكلمة العابرة: من 'لوموند ديبلوماتيك' الى 'الأوريان لو جور' الى 'النهار' التي أتقن فيها ضرب المواعيد بين اللبنانيين وحقائق كلامهم، وصنع لهذه الغاية لغتها. وحين يقصف القتلة شباب سميير قصير يحولون بينه وبين أن يقول المزيد مما قال في هذه المدارات وفي سواها، على هذه المنابر وعلى غيرها. ولكن القوة التي كانت لسمير قصير ماثلة كلها في كل صفحة منه وفي كل عبارة. وها هي قد ازدادت بقتله مثولا. ولسوف يتدبر هذا الساحر أمره ليلبث وجهه الجميل ملء القلوب التي أحبته ولتبقى حبره ملء أقلام المعجبين من أقرانه ومن تلامذته. وسيبقى صوته - غير معار - صوتا لشباب لبنان كلما أحب هذا الشباب أن يتملى من حقائق بلاده

هذا فقيدي لا أبحث له عن عوض في شيء ولا في أحد. وأقول إننا لميتون، ولكن أعلم أن لبعض الميتين طول البقاء. وهو بقاء لا أجد فيه عزاء ولكن أجد فيه ثارا يشبه القدر

الموضوع : عام

المصدر : الحياة

---